تقصير الحركات الطوال: معناه، ودواعيه، وتفسيره

عبد الرحمن عبد الحميد محمـــــد (*)

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ حمدًا دائمًا لا ينقطعُ أبدًا، ولا يُحصي له الخلائقُ عددًا، والصلاة والسَّلامُ على سيِّدِنا محمَّدٍ وعلى آله الطيِّبينَ الطَّاهرين، وأصحابه الغُرِّ المَيامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعدُ: فإنَّ هذا البحث يتناول ظاهرة صوتية وموضوعًا من الموضوعات اللغوية التي كانت، وما زالت ساحة للخلاف بين اللغويين، وهذا الموضوع هو «تقصير الحركات الطوال»، حيث ضع علماؤنا القدماء بداية من سيبويه منهجًا يعبر عن هذه الظاهرة بـ«حذف الحركات»، ثم سار اللغويون على هذا المنهج غير حائدين عنه منذ ذلك الحين حتى منتصف القرن العشرين، حيث تناول اللغويون المحدَثون حينئذٍ هذه الظاهرة في ضوء علم اللغة الحديث، مما أحدث رؤية مغايرة ومنهجًا مخالفًا لمنهج القدماء في ذلك، إذ أطلق المحدَثون على هذه الظاهرة تسمية «تقصير الحركات».

وتتمثل أهمية هذا الموضوع في كونه غير مقتصر على حالة لغوية معينة، وإنما هو قاعدة رئيسة وقانون لغويٌّ عامٌّ في اللغة العربية، فلا يكاد يوجد نصٌّ عربيٌّ دون أن تكون هذه الظاهرة واردة وهذا القانون اللغويٌّ ماثلًا فيه؛ ولذا فقد شغلت هذه الظاهرة اللغوية جانبًا غير يسير من كتب علمائنا القدماء والمحدَثين.

وبناءً على ذلك جاء هذا البحث ليضع بين أيدينا تفسيرًا يوضح بشكل لا لبس فيه أبعاد هذه الظاهرة اللغوية، وما أورده اللغويون من آراء ورُؤى في هذا الشأن، وبيان ذلك في ضوء علم اللغة الحديث.

معنى تقصير الحركات الطوال:

أولًا: في اللغة:

جاء في مقاييس اللغة: "القاف والصاد والراء أصلانِ صحيحانِ، أحدهما يدلُّ على ألا يبلُغَ الشَّيءُ مداه ونهايتَه، والآخر على الحَبْس. والأصلان متقاربان. فالأول القِصَر: خلافُ الطُّول. يقول: هو قَصيرٌ بَيِّنُ القِصَر. ويقال: قَصَّرتُ الثَّوبَ والحبلَ تَقصيرًا... والأصل الآخر، وقد قلنا إنهما متقاربان: القَصْر: الحبس، يقال: قَصَرْتُه

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان:[الحركات الصوتية في سورة الإسراء "دراسة وصفية"]، وتحت إشراف أ.د. حازم علي كمال الدين – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. محمد عبد العال محمد - كلية الآداب - جامعة سوهاج.

إذا حبسته، وهو مقصور أي محبوس"[١] وورد في لسان العرب: "القَصْرُ والقِصَرُ في كُلِّ شَيْءٍ: خِلافُ الطُّولِ.. وقَصُرَ الشَّيْءُ، بالضَّمِّ، يَقْصُرُ قِصَرًا: خِلافُ طال؛ وقَصَرْتُ مِنَ الصَّلاةِ أَقْصُرُ قَصْرًا. والقَصيرُ: خِلافُ الطَّويلِ.. وقَصَّرَ الشَّيْءَ جَعَلَهُ قَصيرًا... وقَصَّرَ مِن شَعْرِهِ تَقْصيرًا إذا حَذَفَ مِنْهُ شَيْئًا ولَمْ يَسْتَأْصِلْهُ"[٢]

ثانيًا: في الاصطلاح:

تقصير الحركات الطِّوال كما عرفه أستاذنا الدكتور حازم علي كمال الدين: "تحويل الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة، نحو: يَجْري YağrĪ لم يَجْرِ Yağri"[٣] فهو اختصارٌ كَمِّي للحركات الطوال، بحيث تصير الفتحةُ الطويلةُ فتحةً قصيرةً، والكسرةُ الطويلةُ كسرةً قصيرةً، والضمَّةُ الطويلةُ ضمَّةً قصيرةً.

وجدير بالذكر أنَّ القدماء كانوا يُطلِقون عليه: «حذف حرف العلة»، وحينما تناول المحدثون هذا المبحث من مباحث اللغة في ضوء علم اللغة الحديث، أطلقوا عليه «تقصير الحركات» و«الاختصار الكَمِّي»، وجاء اختلاف القدماء والمُحدَثِينَ في إطلاق الاسم تبعًا لاختلاف آرائهم في ذات المُسَمّى.

دواعي تقصير الحركات الطوال:

ذكر العلماء في ذلك مجموعة من الدواعي التي تؤدي إلى تقصير الحركات الطوال، وهي على النحو الآتي:

١ـ وجود الوحدة اللغوية في حالة الأمر، ويندرج تحت هذا ما ورد في سورة الإسراء {وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ }[٤] فالفعل «آتِ» فعل أمر مبنيّ على تقصير الحركة الطويلة.

٢ـ وجود الوحدة اللغوية في موقع فعل الشرط، وذلك نحو: «مَنْ يأتِ ـ مَنْ يَأتِهِ»، وقد ورد من ذلك العنصر في سورة الإسراء قوله تعالى:{وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ} فالفعل «يَـهْـدِ» فعل الشرط مجزوم بتقصير الحركة الطويلة.

٣ـ وجود الوحدة اللغوية بعد أداة جزم،[٥] ومن ذلك ما ورد في سورة الإسراء وهو قوله تعالى: { وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا} فالفعل «تَـمْـشِ» فعل مضارع مجزوم بتقصير الحركة الطويلة. "ونلاحظ هنا أن الحركة الطويلة التي قصرت لا تمثل دلالة فونيمية أو مورفيمية، وهذا يسهل عملية الحذف الجزئيّ، وبقاء قسمها الآخر

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م، الجزء الخامس، مادة (قصر)، صـ ٩٦

(٢) لسان العرب لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، الجزء الخامس، مادة (قصر)، صـ ٣٦٤٤ ـ ٣٦٤٥

(٣) الحركة الطويلة في سورة طه دراسة وصفية تحليلية، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، صـــ ١٣١

(٤) سورة الإسراء، الآية:{٢٦}

(٥) الحركة الطويلة في سورة طه، د. حازم علي كمال الدين، صـ ٥١٣٥

ضروريّ لإتمام المقطع، فلو حذفت الحركة حذفًا كاملًا لوقع محذور في بناء الكلمة، وهو تشكل المقطع الأخير من صامت منفرد، وهذا مرفوض في بناء المقاطع العربية." [١]

ويشير الدكتور غالب فاضل المطلبي إلى أن هذا النوع من التقصير جاء مطردًا بناء على الاستعمال النحويّ، حيث يقول: "لقد استعملت حالة تقصير صوت المدّ في العربية أيضًا استعمالًا نحويًّا، إذ إنها صارت تمثل علامة إعرابية على جزم الأفعال المضارعة الناقصة من نحو ما حدث في قولنا: لم يرمِ أو لم يغزُ، أو لم يرَ، وهو استعمال نحويّ يوازي تمامًا حذف الحركة الإعرابية في الأفعال المضارعة الصحيحة في حالة الجزم، وهو أمر قد يشعر أن العربية قد رأت في بعض المواضع أن أصوات المد الطويلة مؤلفة من صوتي مدٍّ قصيرين، وكأن الجزم في حقيقته سقوط الصوت الأخير من هذين الصوتين." [٢]

٤ـ التخلص من الثقل الناشئ عن المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) [٣]، وقد ورد مما يندرج تحت هذا الجانب كثير من الوحدات اللغوية في سورة الإسراء، وذلك نحو: (إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ) (فِي ٱلۡكِتَٰبِ) (لَتُفۡسِدُنَّ) (هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ) (خَبَتۡ) (فِي ٱلۡمُلۡكِ)، ولتوضيح التخلص من هذا الثقل؛ نقوم بتحليل الأمثلة السابقة الواردة في سورة الإسراء تحليلًا مقطعيًّا، وذلك على النحو الآتي:

(إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ)	
إلى المسجد : إ + لالْ + مَسْ + ج+ دِ	ص ح + ص ح ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح
إلَ المسجد: إ + لَلْ + مَسْ + جِ + دِ	ص ح + ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح
(فِي ٱلۡكِتَٰبِ)	
في الكتاب: فيلْ + كِ + تا + بِ	ص ح ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح
فِ الكتاب: فِلْ + كِ + تا + بِ	ص ح ص + ص ح + ص ح ح + ص ح
(لَتُفۡسِدُنَّ)	
تُفسدونَّ: تُفْ + سِ + دونْ + نَ	ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص + ص ح

[١] الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، زيد خليل القراله، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٤م، صـ ٩٩

[٢] في الأصوات اللغوية دراسة في أصوت المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام العراقية، ١٩٨٤م، صـ ٢٩٣

[٣] الحركة الطويلة في سورة طه، د. حازم علي كمال الدين، صـ ٣١٣٥

تُفسِدُنَّ: تُفْ + سِ + دُنْ + نَ	ص ح ص + ص ح + ص ح ص+ ص ح
(هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ)	
هذا القرآن: ها + ذالْ + قُرْ + ءا + نَ	ص ح ح+ ص ح ح ص+ ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح
هذَ القرآنَ: ها + ذَلْ + قُرْ + ءا + نَ	ص ح ح+ ص ح ص+ ص ح ص+ ص ح ح+ ص ح
(خَبَتْ)	
خَباتْ: خَ + باتْ	ص ح + ص ح ح ص
خَبَتْ خَ + بَتْ	ص ح + ص ح ص
(فِي ٱلْمُلْكِ)	
في المُلْكِ: فيلْ + مُلْ + كِ	ص ح ح ص + ص ح ص + ص ح
فِ المُلْكِ: فِلْ + مُلْ + كِ	ص ح ص + ص ح ص + ص ح

٥ـ خط المصحف[١]، يقول ابن خالويه في قوله تعالى:{وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤}[٢] "وكان الأصلُ يَسْري، فخزلوا الياء لأن تُشْبِهَ رُءوسَ الآي التي قبلها؛ فمن القُرَّاء مَن يُـثْـبت الياء على الأصلِ، ومنهم من يحذفها اتِّباعًا للمُصْحَف." [٣] ويضيف أيضًا: "«بالوادِ» جرٌّ بالباء الزائدة، وعلامةُ الجرّ كسرةُ الياء في الأصلِ أعني التي حُذِفَتْ، والأصلُ بالوادي، فاستـثـقلوا الكسرةَ على الياء فحذفوها، فمن القُرَّاء مَنْ يُـثْـبِتُ الياء على الأصلِ، ومنهم مَنْ يَحذف فيقول بالوادِ اجتزاءً بالكسرة، وكذلك أكرمنِ، وأهانَنِ، والليل إذا يَسْرِ"[٤]، والحق أن الحركة الطويلة لم تحذف، وإنما أصابها التقصير، وليس لذلك سبب سوى أن هذا خصيصة خُص بها خطّ المصحف الشريف، ومن ذلك ما ورد في سورة الإسراء: {رَبِّ} {أَخَّرْتَنِ} {ٱلْمُهْتَدِ}، والأصل في هذه الوحدات اللغوية على النحو الآتي:

---

(١) الحركة الطويلة في سورة طه، د. حازم علي كمال الدين، صـ ١٣٨

(٢) سورة الفجر، الآية: {٤}

(٣) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، تحقيق أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، صـ ٣٨٠

(٤) المرجع السابق، صـ ٤٨٣

رقم الآية	الوحدة اللغوية	الأصل	الكتابة الصوتية
٢٤	رَبِّ	رَبّي	Rabbi
٦٢	أَخَّرْتَنِ	أَخَّرْتَني	>aḫḫartani
٩٧	ٱلْمُهْتَدِ	ٱلْمُهْتَدي	>almuhtadi

٦ـ وقوع «ما» الاستفهامية مجرورة بحرف جرّ أو إضافة، وذلك على النحو الآتي: قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥}[١] وقوله تعالى: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ٣٥}[٢]، وقوله سبحانه: {عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١}[٣]، حيث جاءت «ما» الاستفهامية في الآيات السابقة بعد حرف جرّ، فقُصِّرَتْ فتحتها الطويلة لتتحول إلى فتحة قصيرة، وهذا هو المشهور، يقول الدكتور عبدالسلام هارون: "وتُنقَصُ الألفُ آخرًا من ما الاستفهاميَّةِ المسبوقةِ بجارٍّ حرفيٍّ أو اسميٍّ، نحو: فيمَ؟ علامَ؟ حتَّامَ؟ بمقتضامَ؟ ومَنْ أثبتَها في النطقِ أثبتَها في الكتابةِ، كما في قِراءةِ عِكرمة وعيسى: «عمَّا يتساءلون»"[٤]

وجاء في «محيط المحيط»: "كل حرف من حروف الجرّ يدخل على ما المذكورة فإنَّ أَلِفَها تُحْذَفُ بعدهُ فيُقال: لِمَ فعلتَ وبِمَ جِئتَ وعمَّ تسأل بحذف الألف في الجميع. وندر إثباتها في الشعر كقوله: [من الوافر]:

عَلى ما قامَ يَشْتُمُني لَئِيمٌ كَخِنْزيرٍ تَمَرَّغَ في رَمَادِ

ويمتنع في النثر." [٥]

والحق أن ذلك ليس حذفًا كما ذكروا، وإنَّما هو تقصير للحركة الطويلة، واختصار كمِّيٌّ لها، ويشير المستشرق الألمانيّ برجشتراسر إلى ذلك في ثنايا حديثه عن تقصير الحركات قائلًا: "وأكثر أنواع تقصير الحركات الممدودة اتفاقيّ؛ منه تقصيرها في أواخر الكلمات فإنّا نرى الحركة الممدودة الانتهائية في بعضها، قد تحافظ على الامتداد؛ نحو «بما» و«فيما» و«لما». وقد تقصر نحو: «بمَ» و«فيمَ» و«لمَ»."[٦]

---

(١) سورة طه: الآية {١٢٥}
(٢) سورة النمل: الآية {٣٥}
(٣) سورة النبأ: الآية {١}
(٤) قواعد الإملاء، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م، صـ ٤٤٤
(٥) محيط المحيط، بطرس البستاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٩م، المجلد الثاني، باب الحاء، مادة (حتَّ)، صـ ٣٢٥
(٦) التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تصحيح وتعليق د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م، صـ ٦٦

ومما يؤكد التزامهم تقصير الحركة الطويلة (الألف المدية) من «ما» الاستفهامية في ذلك الموضع حيث " يُحكَى أنَّ رجلًا قال لأبيه بما توصيني يا أبي، فقال: بتقوى الله وإسقاط الألف، يريد إسقاط أَلِف ما كأَنَّهُ من لوازم الآداب"[١].

تفسير تقصير الحركات الطوال:

وتماشيًا مع ما ذُكرَ آنفًا من معنى التقصير ودواعيه كان حريًّا بنا التطرق إلى تفسير عمليّ، يوضح سبب ذهاب علماء اللغة المحدثين إلى القول بـ «تقصير الحركات الطوال» دون القول بحذفها خلافًا لتوجه علمائنا القدماء، حيث كانوا يقولون بـ «حذف حرف العلة»، وليس هذا الخلاف مقصورًا على مسألة أو اثنتين، بل هو قانون من قوانين العربية، ما سار عربيٌّ سواءٌ أكان كاتبًا أم قارئًا أم متحدثًا أم مستمعًا إلا وجد مسائل هذا القانون ماثلة أمامه، وإن حُصِرَت دواعيه، فإن مسائله أكثر من أن تُحصى.

يقول الدكتور داود عبده: "ظاهرة «حذف حرف العلة»، أو على الأصح تقصير المدّ الطويل بحيث يصبح مدًّا قصيرًا، ظاهرة لغوية مستقلة تتبع قانونًا لغويًّا عامًّا في العربية لا يقتصر على حالة جزم الفعل الأجوف وحدها"[٢]، وتأسيسًا على ذلك، نذكر بعض الحالات التي اختلف المحدثون في تناولها عن القدماء، مما يضع بين أيدينا تفسيرًا يوضح أبعاد هذه الظاهرة اللغوية، التي شغلت جانبًا من كتب علمائنا القدماء بداية من سيبويه، ثم تبعه في نهجه من أتى بعده، حيث جاء الحديث عنها متفرقًا تحت أكثر من باب، ومن أبرز هذه الأبواب باب «التقاء الساكنين»، حيث كانوا يتناولون فيه كثيرًا مما يتعلق بها من أحكام، ونستعرض جانبًا من أقوالهم حول هذه الظاهرة، وذلك على النحو الآتي:

فهذا سيبويه (١٨٠هـ) يتحدث عن حروف العلة وما يصيبها إذا وَلِيَها ساكن تحت عنوان (باب ما يحذف من السواكن إذا وقع بعدها ساكن) يقول: "وذلك ثلاثة أحرف: الألف، والياء التي قبلها حرف مكسورٌ، والواو التي قبلها حرف مضموم. فأمّا حذف الألف فقولك: رَمَى الرَّجُلُ وأنت تريد رَمَى، ولم يَخَفْ وإنما كرهوا تحريكها لأنَّها إذا حُرّكتْ صارت ياءً أو واوًا، فكرهوا أن تصير إلى ما يستثقلون، فحذفوا الألف حيث لم يخافوا التباسًا." [٣] ويضيف أيضًا: "ومثل ذلك: هذه حُبْلَى الرَّجُل، ومِعْزَى القَومِ، وأنت تريد المِعْزَى والحُبْلَى، كرهوا أن يصيروا إلى ما هو أثقل من الألف، فحذفوا حيث لم يخافوا التباسًا." [٤] ويردف قائلًا: "وأمّا حذف الياء

---

(١) محيط المحيط، بطرس البستاني، المجلد الثاني، باب الحاء، مادة (حتَّ)، صـ ٣٢٥

(٢) أبحاث في اللغة العربية، د. داود عبده، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م، صـ ٤٣

(٣) كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، الجزء الرابع، صـــ ١٥٤ـ١٥٥

(٤) كتاب سيبويه، الجزء الرابع، صـــ ١٥٦. شرح المفصل لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، الجزء الخامس، صـــ ٢٨٨

التي قبلها كسرة فقولك: هو يَرْمِي الرَّجُلَ، ويقضي الْحَقَّ، وأنت تريد يَقْضِي ويَرْمِي، كرهوا الكسر كما كرهوا الجرَّ في قاضٍ، والضمَّ فيه كما كرهوا الرفع فيه، ولم يكونوا ليفتحوا فيَلتبس بالنَّصب، لأنَّ سبيل هذا أن يُكسر، فحذفوا حيث لم يخافوا التباسًا. وأمّا حذف الواو التي قبلها حرف مضموم فقولهم: يَغْزُو القومَ، ويَدْعُو النَّاس. وكرهوا الكسر كما كرهوا الضم هناك، وكرهوا الضم هنا كما كرهوا الكسر في يَرْمي." [١]

يقول السِّيرافي (٣٦٨هـ) معقبًا وشارحًا لكلام سيبويه: "يريد أنهم إذا قالوا يقضي الرجل ويرمي الرجل، فلا بد لهذه الياء من أن تسكن فتحذف لاجتماع الساكنين، وهو الذي عقد عليه الباب، أو تحرك، فإن حركت بالكسر صار بمنزلة قولنا مررت بقاضيك وكسرة الياء التي قبلها كسرة مستثقلة والعرب تسكنها في حال الكسر"[٢]، ويقول أيضًا: "يريد أنّا لو كسرنا الواو في يغزو لثقل، لأنه واو قبلها ضمة كما كرهوا الضم في الياء التي قبلها كسرة"[٣].

ويذكر أبو منصور الأزهريّ (٣٧٠هـ): "ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيَهنّ حرف ساكن بعدهن سقطن، كقولك عبدالله ذو العمامة، كأنك قلت ذُلْ، وتقول رأيت ذا العمامة، كأنك قلت ذَلْ، وتقول مررتُ بذي العمامة، كأنك قلت ذِلْ، ونحو ذلك كذلك في الكلام أجمع." [٤]

ويؤكد ذلك ابن خالويه (٣٧٠هـ) في أكثر من موضع قائلًا: "{وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ}[٥] وتقول: كَلَّم الأعلى الأعلى، وكلّم الأعليانِ الأعْلَيَين، وكلَّم الأعْلَوْنَ الأعْلَيْنَ. وكان الأصل الأعْلاونَ، فسقطت الألفُ لسكونها وسكون الواو"[٦]، وقال أيضًا: "{طَغَوا} ... والأصلُ طَغَيُوا، فحُذِفت الياء لسكونها وسكون واو الجمع." [٧] ومثل ذلك:{للمُصَلِّين} "والأصلُ للمُصَلِّيِينَ، فاستثقلوا الكسرةَ على الياء فحذفوها، فالتقى ساكنانِ ياءُ الجمع والياءُ التي هي لامُ الفعل فحُذِفَتْ لسكونها وسكون ما بعدها." [٨]

---

(١) كتاب سيبويه، الجزء الرابع، صـ ١٥٧

(٢) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق: أحمد حسن ـ وعلي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٨م، الجزء الخامس، صـ ٢٧

(٣) المصدر السابق، الجزء الخامس، صـ ٢٧

(٤) تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون ـ محمد علي النجار، الدر المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م، الجزء الأول، صـ ٥٢

(٥) سورة محمد، الآية: {٣٥}

(٦) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، صـ ٦٣

(٧) المصدر السابق، صـ ٨٤

(٨) المصدر السابق، صـ ١٩٩

ويصرح بذلك ابن جني (٣٩٢هـ) ـ أيضًا ـ في عدة مواضع، ومن ذلك قوله: "وما حُذف لالتقاء الساكنين، نحو: قُمْ وبِعْ وخَفْ ـ وأصلُه قُومْ وبيعْ وخافْ، فحُذِفَتِ الواوُ والياءُ والألفُ لسكونها وسكون ما بعدها"[١].

ويقول الصَّيْمَرِيّ (من نحاة القرن الرابع) مبديًا تأييده لذلك: "وفي الجزم لم يقمْ، ولم يبعْ، ولم يخفْ، تُسَكِّنُ أواخرَ هذه الأفعالِ علامةً للجزم، وتَحْذِفُ الياء، والواو، والألف لالتقاء الساكنين"[٢].

ويضيف ـ أيضًا ـ معللًا لما وقع لحروف العلة من حذف ـ على حد قوله ـ في الأفعال الجوفاء حين يسكن آخرها، حيث يقول: "وإنما كان حذف هذه الحروف أولى، لأنك لو حذفت أواخرَ الأفعالِ لبقيت الواوُ ساكنةً، وكذلك الياء والألف سواكن في أواخرها وجاز أن يلقاها ساكن من كلمة أخرى فتسقطها لالتقاء الساكنين، وحذف حرفين مع حركة إعراب من كلمة إجحاف، فلما كان حذف أواخر هذه الأفعال يؤدي إلى حذف الحروف التي قبلها لم تحذف الحروف الأواخرُ وحُذف ما قبلها، فإذا لقيها ساكن حركت؛ لالتقاء الساكنين نحو: لم يَقُمِ الرجل، ولم يبعِ القوم، ولم يخَفِ الغلام، ولم تَرُدَّ الواوَ والياءَ والألفَ لتحرك ما بعدها؛ لأن حركةَ التقاء الساكنين عارضة ليست بلازمة، فلم يُعتدّ بها." [٣]

كما يوضح في سياق متصل ما يصيب الأسماء والأفعال معتلة الآخر إذا وقع بعدها ساكن، وذلك بقوله: "فأما ما يُحذف آخره إذا كان ساكنًا ولقيه ساكن فهو: ما كان في آخره واو قبلها ضمة، أو ياء قبلها كسرة، أو ألف قبلها فتحة، وهذا يكون في الأسماء والأفعال. ففي الأسماء نحو: أخ، وأب، وقاض، وغاز، وعصا، ورحى، فهذه الأسماء إذا وُصِلَ الكلام ولقيها ساكن حُذِفَت أواخرها؛ لالتقاء الساكنين مثل قولك: مررت بقاضي المدينة، وغازي المسلمين، وعصا الرجلِ، ورَحَى القوم، وهذا أخُو الرجل، وأبو العشِيرة. وإنما حُذِفَ الساكن الأول ولم يُحَرَّك؛ لأن الحركة تُسْتَثْقَل على الياء والواو، ألا ترى أن هذه الأسماءَ جُزِمَتْ للإعراب كراهيةَ أن تتحرك هذه الحروف؟ فلما التقى ساكنان وكانت هذه الحروف ما قبلها يدل عليها ولا تختل الكلمة بحذفها حذفوها استخفافًا، وأما ما في الأفعال فنحو: غَزَا يَغزُو، ورَمَى يرْمِي... تحذفها لالتقاء الساكنين لِما قلنا، فنقول: غَزَا الرجل، ويغزُو القوم.." [٤]

---

(١) التصريف الملوكي لابن جني، تصحيح محمد سعيد الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القربية بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ، صـ ٣٥ ـ ٣٦

(٢) التبصرة والتذكرة للصيمري، تحقيق: د. فتحي أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، الجزء الأول، صـ ٩٢

(٣) التبصرة والتذكرة للصيمري، الجزء الأول، صـ ٩٢

(٤) المصدر السابق، الجزء الثاني، صـ ٧٢٣ ـ٧٢٤

ويذكر في ذلك ابن يعيش (٦٤٣هـ) قائلًا: "فإن كان الساكن الأول حرف مدّ ولين وهو أن يكون ألفًا أو ياءً ساكنةً قبلها كسرةٌ أو واوًا ساكنةً قبلها ضمّةٌ، فإنَّه إذا لقيها ساكنٌ بعدها حذفتَها، فأمَّا حذفُ الألف، فقولُك: «لم يَخَفْ»، و«لم يَهَبْ»، والأصلُ: «يَخَافُ»، و«يَهَابُ» فلما دخل الجازمُ، أُسْكِنَ اللام التي هي الفاء والباء، فاجتمعت مع الألف قبلها، فحُذِفَت لالتقاء الساكنين، إذ لا سبيل إلى تحريكها؛ لأنَّ تحريكها يؤدِّي إلى ردِّها إلى أصلها الذي هو الواو والياء، وردُّها إلى أصلها يؤدِّي إلى ثقل استعمالها"[١]، ومن أقواله أيضًا: "وكذلك «لم يضربا القوم»، و«لم يضربوا الآنَ»، و«لم تضربي ابنَك»، حُذفت النون للجزم، ثم دخل الساكنُ بعدها من كلمة أخرى، فحُذفت الألف والواو والياء لالتقاء الساكنين، وتعذُّر التحرّك للثقل، ولم يقع لبسٌ مع الحذف"[٢].

ويسير أبو حيان (٧٤٥هـ) على المنوال نفسه، ويتضح ذلك في «باب التقاء الساكنين»، إذ يقول: "فإن كان الأولُ حرفَ مَدٍّ، والثاني غير مُدغم، وذلك من كلمتين حُذِفَ نحو: يَرْمي القَوْم، ويَغْزو النَّاسَ، ويَخشى الغلامَ"[٣].

ويحسن بنا أن نشير إلى أنَّ من المحدثين، مَنْ تأثر بآراء القدماء في القول بحذف الحركات الطويلة، ومن أبرز هؤلاء الدكتور تمام حسان، حيث يقول: "تحذف الواو والياء عند التقاء الساكنين كما في «قاضٍ» و «غازٍ»."[٤]

والقارئ لما سبق، يقف لأول وهلة على جملة من الأحكام لا يمكن تجاوزها دون فحص ولا تمحيص وهي على النحو الآتي:

أولًا: القول بسكون حروف العلة.

ثانيًا: القول بتقدم حركة عليها من جنسها.

ثالثًا: القول بحذفها إذا وَلِيَها ساكن.

رابعًا: القول بحذفها مع كونها فاعلًا.

وبدراسة ذلك في ضوء علم اللغة الحديث تبين لنا أن «حروف العلة» ليست كما ذكر علماؤنا القدماء، وإنما هي حركات طوال، والحركات لا تتصف بالسكون على أية حال، كما أن القول بتقدم حركة قصيرة على الحركة الطويلة ليس إلا وهمًا من جَرّاءِ تأثرهم بالكتابة والخطّ، وهذا ظاهر من كلامهم، ويبدو لي أنه ما ورد هذا القول إلا بناءً على القول بسكون «حروف العلة»، وأما القول بحذفها إذا جاء بعدها ساكن، فهذا أيضًا ليس دقيقًا، فالحركات الطوال لم تحذف كما ورد؛ وإنما أصابها

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش، الجزء الخامس، صـ ٢٨٨

(٢) شرح المفصل لابن يعيش، الجزء الخامس، صـ ٢٨٩

(٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، الجزء الثاني، صـ ٧١٧

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء ـ المغرب، ١٩٩٤م، صـ ٢٧٦

التقصير وإن شئت فقل: هو اختصار كمِّيٌّ لتجنب المقطع الطويل المغلق الذي يُرمز له بـ (ص ح ح ص)، ونستعرض ذلك بشكل أوضح من خلال أقوال علمائنا المحدثين متبوعة بتحليل بعض الوحدات اللغوية تحليلًا مقطعيًّا، وذلك على النحو الآتي:

يقول أستاذنا الدكتور حازم علي كمال الدين تعقيبًا على ما ذكره سيبويه: "واتفاق الرسم الخطيّ بالنسبة للياء والواو مع الصامتين المتوسطين الياء والواو هو الذي جعل سيبويه ينظر إلى صوتي المدّ ـ الكسرة الطويلة والضمة الطويلة ـ على أنهما صامتان ساكنان، والصامت السابق للياء متحرك بالكسرة، والصامت السابق لواو المدّ متحرك بالضمة، وكذلك اتفاق الرسم الخطيّ لألف المدّ ـ الفتحة الطويلة ـ هو الذي دفع سيبويه إلى أن يعدها همزة ساكنة، والصامت السابق لها متحرك بالفتحة، حيث يتفق الرمز الخطيّ لهذه الألف مع الرمز الخطيّ لهمزة الوصل، وهي في رأي سيبويه صامت متحرك"[1]، ويمكن توضيح اشتراك الحركة الطويلة مع الصامت المتوسط في الرمز الخطيّ، وذلك على النحو الآتي:

أولًا: اشتراك الفتحة الطويلة مع همزة القطع في « ال » ـ وهي صوت صامت ـ في الرمز الخطيّ:

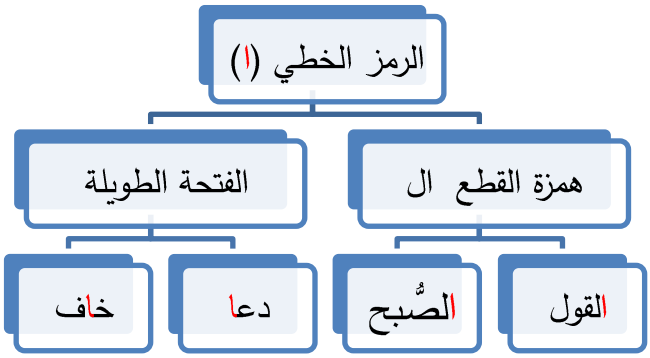

ثانيًا: اشتراك الكسرة الطويلة مع الياء الصامت المتوسط في الرمز الخطيّ:

(١) دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م، صـ ٣٥

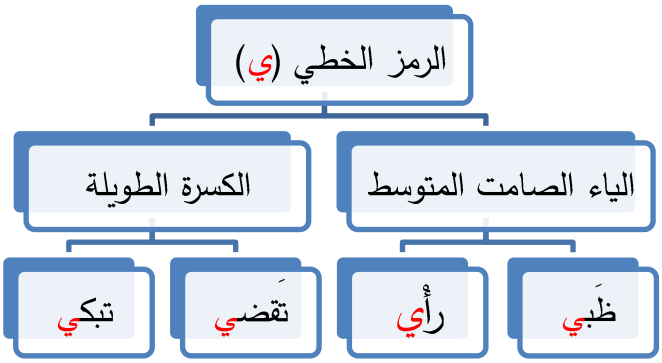

ثالثًا: اشتراك الضمة الطويلة مع الواو الصامت المتوسط في الرمز الخطيّ:

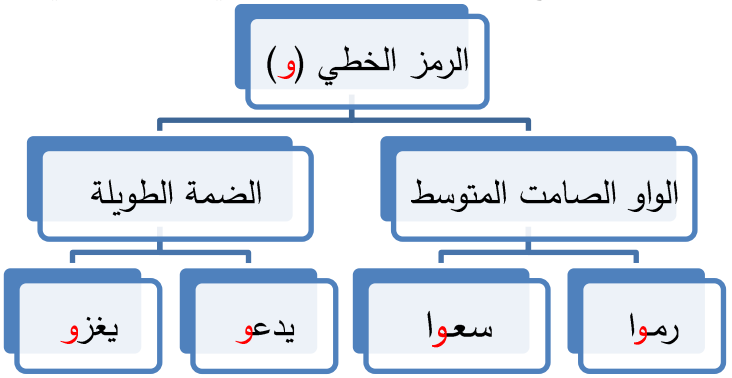

ويتضح مما سبق أنَّ "التأثر بالجانب الخطيّ، هو الذي أدى إلى غياب العلاقة الصوتية بين الحركات القصار ــ الفتحة والضمة والكسرة ــ وحروف المدّ (الحركات الطويلة) عن فكر سيبويه في دراساته الصوتية والنحوية"[1]، ولكي يكون الأمر أكثر وضوحًا نقوم بتحليل بعض الأمثلة التي ساقها علماؤنا القدماء تحليلًا مقطعيًّا، وذلك على النحو الآتي:

رَمى الرَّجُلُ	
رَمى الرَّجُلُ: رَ+ مار+ رَ+ جُ + لُ ↓ رَمَ الرَّجل: رَ+ مَرْ+ رَ+ جُ + لُ	ص ح + ص ح ح ص + ص ح + ص ح + ص ح ص ح + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح
حُبْلى الرَّجُلِ	
حُبْلى الرَّجُلِ: حُبْ+ لارْ+ رَ+ جُ +	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح + ص ح + ص

[1] دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث، صـ ٣٦

لِ ↓ حُبْلَ الرَّجُلِ: حُبْ + لَرْ + رَ + جُ + لِ	ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح

مِعْـزى القَوْمِ	
مِعْـزى القَوْمِ: مِعْ + زالْ + قَوْ + مِ ↓ مِعْزَ القَوْمِ: مِعْ + زَلْ + قَوْ + مِ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح
يَـرْمي الرَّجُلُ	
يَـرْمي الرَّجُلُ: يَـرْ + ميـرْ + رَ + جُ + لُ ↓ يَـرْمِ الرَّجُلُ: يَـرْ + مِـرْ + رَ + جُ + لُ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح + ص ح + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح + ص ح + ص ح
يَقْضي الحَقَّ	
يَقْضي الحَقَّ: يَـقْ + ضيلْ + حَقْ + قَ ↓ يَقْضِ الحَقَّ: يَـقْ + ضِـلْ + حَقْ + قَ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح
يَغْـزو القَوْمَ	
يَغْـزو القَوْمَ: يَغْ + زولْ + قَوْ + مَ ↓ يَغْـزُ القَوْمَ: يَغْ + زُلْ + قَوْ + مَ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح

يَدْعو النَّاسَ	
يَدْعو النَّاسَ: يَـدْ+ عونْ+ نا + سَ ↓ يَدْعُ النَّاسَ: يَـدْ+ عُنْ+ نا + سَ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ح + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح + ص ح
الأعْلَوْنَ	
الأعْلى: (مفرد) ال +أَعْ + لا ↓ الأعْلاوْنَ: الْ+ أَعْ + لاوْ + نَ ↓ الأَعْلَـوْنَ: (جمع مذكر سالم) الْ+ أَعْ + لَـوْ + نَ	ص ح ص + ص ح ص+ ص ح ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح ص + ص ح

وتخلصًا من الثقل الناتج عن المقطع الطويل المغلق «ص ح ح ص» لجأ النظام اللغويّ العربيّ إلى الاختصار الكميّ للحركات الطويلة؛ ليتحول بذلك المقطع الطويل المغلق «ص ح ح ص» إلى المقطع المتوسط المغلق «ص ح ص»، "وعلى هذا الأساس .. نفسر اختزال الحركات الطويلة التي تنتهي بها بعض الكلمات عندما تتصل بساكن بعدها مثل "في البيت" تنطق "Filbayt" والأصل فيها "Fīlbayt" أي أن اتصال حرف الجر بكلمة بعده يتشكل معه مقطع طويل في حشو السلسلة الكلامية "Fīl" وهذا لا تقبل به العربية، ولا تجيزه، ولذا تلجأ إلى اختزال الحركة الطويلة فيه فتحوله بذلك من مقطع طويل "Fīl" إلى مقطع متوسط "Fil""[1]

ويؤكد كذلك أستاذنا الدكتور حازم علي كمال الدين انفراد العربية بهذه الظاهرة بعد مقارنته بين نصوص ثلاثة في اللغات السامية: العبرية والحبشية والعربية، حيث يقول: "عندما ننظر في النصوص الثلاثة نلاحظ أن تقصير

[1] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديثة، إربد ـ الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، صـ ١٢٨

الحركات الطوال لم يتحقق إلّا في النص العربيّ... والسبب في تقصير الفتحة الطويلة يتمثل في التخلص من الثقل الناشئ عن المقطع الطويل المغلق(ص ح ح ص)" [١]

وهذا التقصير من شأنه أن يؤدي إلى انسيابية في نطق الكلمات، وسرعة في الأداء، يقول الدكتور عبدالرحمن أيوب: "ومن الطبيعيّ أن يقل طول الأصوات الطويلة عندما تزيد سرعة الأداء، وأن يزيد طول الأصوات القصيرة عندما تقل، ومع ذلك فلا بد من الاحتفاظ بالفرق بين الأصوات الطويلة والقصيرة مهما زادت السرعة أو قلت. وبهذا المعنى يمكن أن نقول: إن طول الصوت أمر نسبيّ لا أمر مطلق. فالصوت الطويل هو الذي يكون أطول من غيره في نفس اللغة، ولو كان هذا الصوت الطويل ينطق أحيانًا أقصر منه أحيانًا أخرى." [٢]

وبالإضافة إلى ما سبق، ثَمَّةَ حالات تندرج تحت باب تقصير الحركات الطوال، أعتقد أن ذكر أبرزها هنا، سيجعل الأمر أكثر وضوحًا من ذي قبل، وهذه الحالات على النحو الآتي:

١ـ الفعل المضارع الصحيح المسند إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة المؤكد بالنون، وذلك نحو: تَكْتُبُنَّ وتكْتُبِنَّ، يقول الأشموني: "والمضمر المسند إليه الفعلُ احذِفَنَّـه لأجل التقاء الساكنين مُبْقيًا حركَتَهُ دالة عليه إلا الألف أبْقِها لخفتها، تقول: يا قوم هل تَضْرِبُنَّ بضم الباء، ويا هند هل تضرِبِنَّ بكسرها، فأصلُ يا قوم هل تضرِبُنَّ: تضرِبُونَنَّ، فحذفت نونُ الرفع لكثرة الأمثال فصار تضربونَّ، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين. وأصلُ يا هندُ هل تضرِبِنّ: هل تضربينَنَّ فُعِل به ما ذكر."[٣]

والحق أن الحذف الواقع هنا، إنما وقع على نون الرفع فقط، أما ما أصاب ضمير الفاعل أو بمعنى آخر الحركة الطويلة ليس إلا تقصيرًا لها، يقول أستاذنا الدكتور حازم علي كمال الدين: "عند توكيد الفعل المضارع الصحيح المسند إلى واو الجماعة بالنون تتحول واو الجماعة من ضمة طويلة إلى ضمة قصيرة؛ أي يحدث لها اختصار كميّ، والتفسير الصوتيّ لهذا الاختصار الكميّ هو: تجنب المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص)" [٤] ويمكن توضيح ذلك عن طريق التحليل المقطعيّ الآتي:

---

(١) الحركة الطويلة في اللغات السامية، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، صـ ١٥٩

(٢) أصوات اللغة، د. عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م، صـ ١٤٩

(٣) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان،الطبعة الأولى ١٩٥٥م، الجزء الثاني، صـ ٥٠١

(٤) دراسة في علم الأصوات، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م، صـ٢٧٣. وظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب ، القاهرة، ١٩٩٤م، صـ ١٢٤

ـ تقصير الضمة الطويلة بحيث تصبح ضمة قصيرة:

تَضرِبُنَّ	
تَضرِبونَّ: تَضْ+ رِ+ بونْ + نَ	ص ح ص+ ص ح + ص ح ح ص + ص ح
↓ تَضرِبُنَّ: تَضْ+ رِ+ بُنْ + نَ	ص ح ص+ ص ح + ص ح ص + ص ح

تَضرِبونَ ← تَضرِبونَنَّ ← تَضرِبونَّ ← تَضرِبنَّ

ـ تقصير الكسرة الطويلة بحيث تصبح كسرة قصيرة:

تَضرِبِنَّ	
تَضرِبينَّ: تَضْ+ رِ+ بِينْ + نَ	ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص + ص ح
↓ تَضْرِبِنَّ: تَضْ+ رِ+ بِنْ + نَ	ص ح ص + ص ح + ص ح ص + ص ح

تَضرِبينَ ← تَضرِبينَنَّ ← تَضرِبينَّ ← تَضرِبِنَّ

ويتضح مما سبق "أن بعض التغيرات الصرفية أو النحوية قد تظهر هذا الضرب من المقاطع في داخل حشو الكلمة العربية، فتجنح العربية حينذاك إلى التخلص من هذا النوع من المقاطع بتحويله إلى مقطع من النوع الثالث، عن طريق تقصير صوت المدّ فيه"[١].

وصفوة القول في ذلك ما ذكره الدكتور عبدالصبور شاهين، إذ يقول: "حالة تأكيد الفعل المسند إلى ضمير الجماعة الحركيّ، في مثل: (ينصرون) فيصير الفعل

[١] في الأصوات اللغوية دراسة في أصوت المد العربية، صـ ٢٣٩

مع النون: ينصرونَنَّ. حذفت نون الرفع لتوالي الأمثال، فصار الفعل بعد حذفها: ينصرونَّ بنون مشددة، (yan/ṣu/ruun/na)، فقد وجد في الكلمة مقطع مديد من نوع (ص + ح + ح + ص)، في حالة الوصل، وهي صعوبة تتجنبها اللغة عند أمن اللبس.. فاختصر هذا المقطع إلى مقطع طويل مقفل: (ص + ح + ص)، وصارت الصيغة: ينصرُنَّ (yan/ṣu/run/na)." [١] وفي اعتقادي أن القول بحذف الفاعل قول غير دقيق حيث إن "الفاعل بوصفه عمدة، لا يجوز حذفه؛ نظرًا إلى أن الفعل والفاعل كجزأي كلمة، لا يستغنى بأحدهما عن الآخر، إذ لو حذف الفاعل لبقي الفعل غير مسند إلى شيء، فنكون أمام خبر دون مخبر عنه، أو حكم دون محكوم عليه، وهذا محال." [٢]

٢ـ الفعل المضارع الناقص المسند إلى واو الجماعة أو ياء المخاطبة المؤكد بالنون، وذلك نحو: تَغْزُنَّ، وتَغْزِنَّ، وتَعْلُنَّ، وتَعْلِنَّ، "فإن كان الفعل معتلًّا نَظرتَ إن كان بالواو والياء فكالصحيح، تقول يا قوم هل تَغزُنَّ، وهل تَرمُنَّ، بضم ما قبل النون، ويا هندُ تَغزِنَّ وهل تَرمِـنَّ، بكسره، فتحذف مع نون الرفع الواو والياء، وتقول هل تَغزُوانِّ وتَرْمِيانِّ، فتبقى الألف. فإن قلتَ: هذا ليس كالصحيح؛ لأنَّه حذف آخره، وجعلت الحركة المجانسة على ما قبل الآخر بخلاف الصحيح. قلتُ: حَذْفُ آخره إنما هو لإسناده إلى الواو والياء، لا لتوكيده، فهو مساوٍ للصحيح في التغيير الناشئ عن التوكيد"[٣] وعند تحليل الفعل تحليلًا مقطعيّا يتضح أن الحركة الطويلة اختُصرت لتتحول إلى حركة قصيرة على النحو الآتي:

ـ تقصير الضمة الطويلة بحيث تصبح ضمة قصيرة:

تَغْزُنَّ	
تَغْـزونَّ: تَغْ+ زونْ + نَ ↓ تَغْـزُنَّ: تَغْ+ زُنْ+ نَ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح

(١) المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٠م، صـ ١٠١

(٢) "الحركات" نقطة الضعف في الدراسات الصوتية عند العرب، د. فوزي حسن الشايب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت، العدد ٢٠/٨٠، سنة ٢٠٠٢م، صـ ٨٠

(٣) منهج السالك إلى ألفية ابن مالك للأشموني، الجزء الثاني، صـ ٥٠٢

تَغْزونَ ← تَغْزونَنَّ ← تَغْزونَّ ← تَغْزُنَّ

ويبدو لكل ذي لُبٍّ ونظر "أن ضمير الجماعة الحركيّ هو الذي تعرض للاختصار، فضاع نصفه، وبقي نصفه في صورة الضمة القصيرة، أي: أن المسند إليه في الجملة ما زال باقيًا، بعكس ما يقوله الصرفيُّون من أن واو الجماعة حذفت، وضم ما قبل النون دلالة عليها، فهذه الضمة هي في الواقع ركن الإسناد، فيما نرى"[١].

ـ تقصير الكسرة الطويلة بحيث تصبح كسرة قصيرة:

تَغْزِنَّ	
تَغْزِينَّ: تَغْ+ زِينْ + نَ ↓ تَغْزِنَّ: تَغْ+ زِنْ+ نَ	ص ح ص + ص ح ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح ص + ص ح

تَغْزِينَ ← تَغْزِينَنَّ ← تَغْزِينَّ ← تَغْزِنَّ

فالضمة والكسرة الطويلتان "بهذا الوصف الأخير قد لحقهما التقصير، فصارتا ضمة (u) وكسرة (i) بعد أن كانتا واوًا (uu) وياءً (ii)، بسبب امتناع التركيب المقطعيّ المشار إليه سابقًا في هذا السياق، ومعنى هذا أن الضمة والكسرة اللتين نصوا على أنهما تدلان على الواو والياء «المحذوفتين» ليستا أجنبيتين عن الواو والياء، أو ليستا غير متصلتين بهما، وإنما هما في حقيقة الأمر بعضهما، على ما نص عليه ابن جني وغيره من الواعين لهذه

[١] المنهج الصوتي للبنية العربية، د. عبدالصبور شاهين، صـ ١٠١

الظاهرة، وقد قام هذا البعض مقام الكل بسبب صوتيّ وظيفيّ phonological يتسق مع النظام المقطعيّ للغة العربية." [١]

ومما لا شكَّ فيه أن هذا التفسير نفسه يتفق مع قواعدهم الأخرى، فالمعروف أن الواو هنا فاعل، فالقول بحذفها يعني حذف الفاعل، وهو غير جائز عندهم، أما القول بالتقصير ـ تقصير الضمة الطويلة الممثلة كتابة بالواوـ يعني وجود الفاعل ولكن بصورة أخرى هي الضمة القصيرة لا الواو، وهذا يعني أن مورفيم الفاعلية في نحو «يكتبون» له صورتان، إحداهما الواو أو الضمة الطويلة، والأخرى الضمة القصيرة عند التوكيد بالنون. [٢]

٣ـ الفعلان الأمر والمضارع المجزوم من النوع الأجوف، وذلك نحو: قُلْ، ولم يَقُلْ، بِعْ، ولم يَبِعْ، "فالفعل الأجوف الذي أُعِلَّت عينه في الماضي والمضارع عند إسناده إلى ضمير مستتر يتحول الشكل المقطعيّ (ص ح ح ص) إلى الشكل (ص ح ص)، نحو: قوم Ḳūm قُم Ḳum وذلك للتخلص من الثقل الناتج عن النوع الطويل المغلق (ص ح ح ص)" [٣] وكذلك الأمر في حالة الجزم حيث تتحول الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة للتخلص من المقطع الطويل المغلق الذي يرمز له بالرمز (ص ح ح ص). [٤]

يقول الدكتور زيد خليل فلاح القرالة: "وفي هذا البناء يتحول المقطع المديد (ص ح ح ص) إلى مقطع طويل مغلق (ص ح ص) وذلك بالحذف الجزئيّ للحركة الطويلة، ومن هنا فإن العلة في تقصير المدّ الطويل تتأتى من دافعين: أولهما علة المقطع، وإشكالياته التي تقع في حيز عدم الجواز حينًا، وفي الكراهية حينًا آخر مما يضطر الناطق لتشكيل مقاطع الكلمة، أما الدافع الثاني: فيتمثل في كون الحركة المحذوفة لا تمثل قيمة فونيمية أو مورفيمية؛ فتقصير الحركة لم يؤثر على دلالة الكلمة أو على مورفيم الفاعل." [٥]

ويبين الدكتور فوزي الشايب ذلك بقوله: "من خصائص البنية المقطعية العربية، أنها تعمد إلى تقصير الحركات الطويلة في المقاطع المغلقة باستمرار فيما عدا باب دابّة وشابّة... وعلى أساس هذه الخاصة نفسر اختزال الحركة الطويلة في الفعل الأجوف: في الأمر، والمضارع المجزوم بالسكون، وذلك مثل: قُمْ، ولم يَقُمْ، فهذان الفعلان الأصل فيهما هو: قومْ Kūm لم يقومْ Yakūm "[٦]، ويمكن توضيح ذلك عن طريق التحليل المقطعيّ على النحو الآتي:

---

(١) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م، صـ ١٥٩

(٢) المرجع السابق، صـ ١٥٩

(٣) ظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية، صـ ١٢٢

(٤) المرجع السابق، صـ ١٢٠

(٥) الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، صـ ١٠٠

(٦) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، صـ ١٢٦

ـ تقصير الحركة الطويلة لتتحول إلى حركة قصيرة في الفعل المضارع الأجوف المجزوم:

لَمْ يَـبِـعْ	
لَمْ يَـبِـيعْ: لَمْ+ يَـ + بيعْ ↓ لَمْ يَـبِـعْ: لَمْ + يَـ + بِـعْ	ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص ص ح ص + ص ح + ص ح ص
لَمْ يَـقُـلْ	
لَمْ يَقـولْ: لَمْ+ يَـ + قولْ ↓ لَمْ يَقُـلْ: لَمْ + يَـ + قُلْ	ص ح ص + ص ح + ص ح ح ص ص ح ص + ص ح + ص ح ص

ـ تقصير الحركة الطويلة لتتحول إلى حركة قصيرة في الفعل الأمر الأجوف:

قُـلْ	
قـولْ: ↓ قُـلْ:	ص ح ح ص ص ح ص
بِـعْ	
بيعْ: ↓ بِـعْ:	ص ح ح ص ص ح ص

وبإمعان النظر فيما ورد في تقصير الحركات، يتضح لنا أن المقطع الطويل المغلق «ص ح ح ص» ليس مقطعًا ملفوظًا غير مقبول في العربية على كل حال، بل هو "مقطع مقبول في اللغة في حالة الوقف فقط، وبشرط أن ينقسم في حالة الوصل إلى مقطعين: (طويل وقصير)، وقد كان من الممكن قياسًا أن يكون فعل الأمر من هذين الفعلين: قول وبيع، لولا أن الشكل المقطعيّ في هذه الصيغة لا ينقسم في حالة الوصل، فالسكون فيه ليس عارضًا للوقف، بل هو علامة بناء للجزم، ولذلك اختصر المقطع المديد وقفًا ووصلًا"[١].

[١] المنهج الصوتي للبنية العربية، صـ ٨٥

وهذا التقصير الذي وقع لا يُرَدُّ بسبب تحرك ما بعده بحركة عارضة، قال سيبويه وقد عقد لذلك بابًا أسماه (باب ما لا يردُّ من هذه الأحرف الثلاثة لتحرك ما بعدها) "وهو قولك: لم يَخَفِ الرَّجُلُ، ولم يَبِعِ الرَّجُلُ، ولم يَقُلِ القومُ، ورَمَتِ المرأة، ورَمَتَا، لأنَّهم إنما حرَّكوا هذا الساكن لساكنٍ وقع بعده، وليست بحركة تلزم. ألا ترى أنَّك لو قلت: لم يَخَفْ زيدٌ، ولم يَبِعْ عمرو أسكنْت." [١]

٤ـ إسناد الفعل الماضي الأجوف إلى ضمائر الرفع المتحركة:(تاء الفاعل، ونا الفاعلين[٢]، ونون النسوة)، وذلك نحو: قُلْتُ، وقُلْنا، وقُلْنَ، يقول أستاذنا الدكتور حازم علي كمال الدين في أثناء حديثه عن إسناد الفعل الأجوف إلى ضمائر الرفع المتحركة: "الأفعال التي لم تصح عينها، نحو: قام، صام، عند الإسناد إلى الضمائر السالفة الذكر، تتحول الصيغة من: قومت Ḳūmtu إلى قُمْتُ Ḳumtu ، وذلك للتخلص من المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) الذي نشأ اشتقاقيًّا بسبب هذا الإسناد، فيتحول هذا المقطع إلى الشكل المقطعيّ (ص ح ص)" [٣] ويمكن توضيح ذلك عن طريق التحليل المقطعيّ، على النحو الآتي:

ـ عند إسناد الفعل الأجوف إلى تاء الفاعل، ونا الفاعلين ونون النسوة:

قُلْتُ	
قولْتُ: قولْ+ تُ ↓ قُـلْتُ: قُـلْ+ تُ	ص ح ح ص + ص ح ص ح ص + ص ح
قُلْنا	
قولْنا: قولْنا+ نا ↓ قُـلْنا: قُـلْ+ نا	ص ح ح ص + ص ح ح ص ح ص + ص ح ح
قُلْنَ	
قولْنَ: قولْ+ نَ	ص ح ح ص + ص ح

(١) كتاب سيبويه، الجزء الرابع، صـ ١٥٨

(٢) تأتي «نا» في القرآن الكريم كثيرًا دالة على التعظيم لله سبحانه وتعالى

(٣) ظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية، صـ ١١٥

قُـلْنَ: ↓ قُـلْ+ نَ	ص ح ص + ص ح

وجدير بالذكر أننا "نلاحظ أن الحذف هنا يقع على الحركات الطويلة بشكل تدريجيّ، ففي المرحلة الأولى تقصر ثم تحذف الحركة القصيرة المتبقية، وهي حركة الفتحة، وتحل مكانها حركة الضمة أو الكسرة تبعًا لأصل الفعل"[١]

وفي هذا الإطار يقول الصَّيْمَرِيّ: "اعلم أنَّ كُلَّ ما كان على فَعَل مِمَّا عَيْنُه واو إذا بَـنَـيْـتَـهُ للمتكلم، والمخاطب، ولجماعة المؤنث فإنَّك تنقله من فَعَـلْتُ إلى فَعُـلْتُ نحو: قُـلْتُ، وقُـلْتَ، وقُـلْـن. وما كان على فَعَل مِمَّا عينه ياء فإنَّك تنقلهُ إلى فَعِـلْت نحو: بِـعْتُ وبِـعْتَ، وبِـعْنَ. والأصل في هذه الأفعال: فَعَـلْتُ نحو: قَـوَلْـتُ، وبَـيَـعْـتُ، ثم نُقِلَ ما كان من بنات الواو إلى فَـعُـلْت، وما كان من بنات الياء إلى فَـعِـلْتُ، ثُمَّ حُـوِّلَتْ حركةُ العين إلى الفاء، فبقيت العين ساكنة، وبعدها ساكن، فحذفت الواو والياء؛ لالتقاء الساكنين فصار قُـلْتُ وبِـعْتُ"[٢] ويدلل على ذلك بقوله: "والدليل على أن قُـلْتُ ونحوه أصله فَـعَـلْت ثم حُوِّلَ إلى ما وصفنا أنَّك تقول: قُـلْـتُـهُ، وذُقْـتُـهُ فتُعَدِّيه، وفَـعُـلَ لا يتعدَّى، لا تقول: كَـرُمْـتُـهُ، ولا ظَـرُفْـتُـهُ، فلمَّا رأينا قُـلْـتُه متعدِّيًا علمنا أن أصله غير فَعُلْتُ، وأنه منقول من فَعَلْت لما ذكرنا من العلة"[٣].

ويذكر الدكتور غالب فاضل المطلبي: "ونلاحظ من جانب آخر أن هذا العنصر يتحول إلى صوت مدّ قصير آخر ولكنه في هذه الحالة أيضًا يشير إلى العنصر نفسه، ولكن من خلال التصريفات الأخرى للصيغ، من ذلك أن الصيغة المفترضة عندنا لإسناد الفعل الماضي «قال» لضمير المتكلم المرفوع: قَـلْت بالفتح (لأنه من قال) والصيغة المفترضة من الفعل «باع»: بَعْت (لأنه من باع) لكننا نلاحظ أن النطق العربيّ قد جنح إلى الضم في الأولى، وإلى الكسر في الثانية، وكأن في ذلك إشارة إلى ما أطلق عليه اللغويون العرب أصل الألف في هذه الأفعال." [٤]

ويردف الدكتور غالب قائلًا: "بيد أننا نشعر في أحيان أخرى بأن هذا العنصر غير ثابت في العربية على صوت مدّ بعينه، وأنه قد يخضع إلى التغير لأسباب قد تتعلق بالميول اللهجية، من ذلك قولهم دِمت ودُمت، ومِت ومُت ولقد بقي من هذا في العربية قولهم: خِفت بالكسر من مادة (خاف يخاف خوفًا)." [٥]

ويؤكد على ذلك المستشرق الألمانيّ برجشتراسر بقوله: "ومما خالفت فيه العربية اللغة السامية الأم، أن الأفعال الجوفاء شبهت حركة ماضيها بحركة

---

(١) الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، صـ ٩٦ ـ ٩٧
(٢) التبصرة والتذكرة للصيمري، الجزء الثاني، صـ ٨٧١
(٣) المصدر السابق، الجزء الثاني، صـ٨٧٢
(٤) في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، صـ ٢٤١
(٥) المرجع السابق، صـ ٢٤١

مضارعها، في مثل: «قُمت» على قياس: «يقوم»، و«سِرت» على قياس: «يسير»، والحركة في العبرية والآرامية هي الفتحة دائمًا، كما هي في الغائب أي: قام، وسار"[١].

٥ـ الفعل الماضي الناقص إذا اتصلت به تاء التأنيث الساكنة، تتحول الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة للتخلص من الثقل الناشئ عن المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) نحو: سَعَتْ، ورَمَتْ، وغَزَتْ، "وكره العربية لهذا المقطع، ورفضها له يفسر لنا اختزال الحركة الطويلة من آخر الأفعال المنقوصة، عندما تلحق بها تاء التأنيث وذلك نحو: رمى، وغزا، نقول: رَمَتْ، وغَزَتْ، وكان المفروض أن تكون: رماتْ، وغزاتْ، ولكن هذا يؤدي إلى تشكيل مقطع طويل ترفضه العربية"[٢] ويمكن توضيح ذلك عن طريق التحليل المقطعيّ، نحو:

رَمَتْ	
رَماتْ: رَ+ ماتْ	ص ح + ص ح ح ص
رَمَتْ: رَ+ مَتْ	ص ح + ص ح ص

ويوضح الدكتور رمضان عبدالتواب ذلك بقوله: "وإذا كان الفعل المسند إلى الغائبة، قد تحول من: (رماتْ) مثلًا، إلى (رَمَتْ) بسبب تجنب المقطع الرابع، الذي تحدثنا عنه من قبل، فإن هذا الفعل الناقص نفسه، إذا أسند إلى الغائبتين، لا ينشأ فيه هذا المقطع الرابع، وليس هناك قانون صوتيّ، يؤدي إلى تحول: (رماتا) مثلًا إلى (رَمَتا)، وإنما هو أثر القياس على الفعل المسند للغائبة، وطرد للباب على وتيرة واحدة."[٣]

يقول المستشرق الألمانيّ برجشتراسر: "ومن الشاذ في الأفعال الناقصة، صيغة المثنى المؤنث في الماضي، نحو: «رَمَتا» أصلها: Ramayatā على وزن: فَعَلَتا، فكان يلزم أن تكون: Ramātā باتحاد الفتحتين إلى فتحة واحدة ممدودة، غير أنها قصرت على قياس: «رَمَتْ»، وتقصيرها فيها واجب، للحرف الساكن بعدها."[٤]

ويضيف الدكتور زيد خليل القرالة قائلًا: "إن بقاء الحركة الطويلة من هذه الأفعال يؤدي إلى اللبس؛ فلو بقيت الحركة الطويلة بعد إضافة تاء التأنيث لأصبح

---

(١) التطور النحوي، برجشتراسر، صـ ٩٥

(٢) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، صـ ١٢٧

(٣) التطور اللغوي، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م، صـ ١٠٥

(٤) التطور النحوي، برجشتراسر، صـ ٩٥

البناء الجديد على النحو التالي: رمات، وغزات، بفتح الراء والغين، وهذا البناء يؤدي إلى اللبس بـ (رماة، وغزاة) جمع رامٍ، وغازٍ"[١].

٦- الفعل الماضي الناقص المسند إلى واو الجماعة، وقد وردت وحدات لغوية تندرج تحت هذا الجانب في سورة الإسراء، نحو قوله تعالى: {وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتۡبِيرٗا ٧}[٢]، {إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢}[٣] يقول الشيخ الحملاوي: "إذا كان الفعل الناقص ماضيًا وأسند لواو الجماعة حذف منه حرف العلة، وبقي فتح ما قبله إن كان المحذوف ألفًا ويضم إن كان واوًا أو ياءً فتقول في نحو: سَعَى سَعَوْا، وفي سَرُو ورَضِي سَرُوا ورَضُوا"[٤] والحق أن ما حدث للفعل ليس من قبيل الحذف؛ وإنما هو تقصير للحركة الطويلة، للتخلص من الثقل الناشئ عن المقطع الطويل المغلق، ويمكن توضيح ذلك عن طريق تحليل الوحدات اللغوية تحليلًا مقطعيًّا، نحو:

عَلَوْا		
الأصل	الوحدة اللغوية	الكتابة الصوتية
عَـ / لاوْ ⟵ ص ح / ص ح ح ص	عَـ / لَوْ ص ح / ص ح ص	<alaw
لابْتَغَوْا		
الأصل	الوحدة اللغوية	الكتابة الصوتية
لَبْ/ تَ/ غاوْ ⟵ ص ح ص / ص ح / ص ح ح ص	لَبْ/ تَ/ غَوْ ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص	Labtaġaw

ويتبين لنا من الكلام السابق، أن "العربية تحافظ على هذا الصوت القصير الذي يمثل أحد عناصر الجذر حتى في الحالات التي يكون وجوده فيها غير مستساغ لمجيء صوت مدّ طويل بعده، فتحتال على ذلك بأن تحور في نطق صوت المدّ بأن تحوله إلى نصف مدّ من نحو قولهم: رأَوْا، رَمَوْا، بكَوْا، علمًا بأن صوت المدّ الطويل في هذه الأمثلة يمثل لاحقة ذات وظيفة نحوية، إذ إنه (واو الجماعة) فكأن

---

(١) الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي، ١٩٩٤م، صـ ٩٦

(٢) سورة الإسراء: الآية : {٧}

(٣) سورة الإسراء: الآية: {٤٢}

(٤) شذا العرف في فن الصرف، الشيخ أحمد الحملاوي، تحقيق وائل أحمد عبدالرحمن، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١٠م، صـ ٤٤

العربية قد جنحت إلى المحافظة على صوت المدّ القصير جنوحًا، وإن كان ذلك يؤدي إلى تغيرات نطقية في علامات ذات علاقة بالنظام النحويّ." [١]

فإنَّ حالة التقاء صوتي مدّ طويلين داخل السياق من نحو ما يحدث في حالة إضافة «لاحقة الواو» التي يطلق عليها في التراث العربيّ واو الجماعة إلى الأفعال المعتلة الناقصة، التي لامها ألف من نحو رأى، دعا، بكى، مشى في الماضي، ويرى، ينسى، يرضى، في المضارع، وهو تعاقب محال في النظام اللغويّ العربيّ، فيحتال على ذلك بأن تحول واو الجماعة إلى الواو الصامت المتوسط، مما يعني ظهور مقطع طويل مغلق «ص ح ح ص»، فيخضع هذا المقطع إلى الإلغاء عن طريق تقصير الحركة الطويلة فيه، وهكذا تظهر عندنا الصيغ النهائية لهذه الأفعال: في الماضي: رأيوا > رأيْوا > رأوا، دعاوا > دعاوْا > دعَوْا، في المضارع: يريون > يريوْن > يرَوْن، ينسيون > ينسيوْن > ينسَوْن. [٢]

٧ـ الفعل المضارع المعتل الآخر المجزوم، نحو: لم يسعَ، ولم يرجُ، ولم يدعُ، يقول ابن جني: "وقد أجرت العرب أيضًا الحرف مجرى الحركة في نحو قولهم: لم يَخْشَ، ولم يَسْعَ، ولم يَرِمِ، ولم يَغْزُ، فحذفوا هذه الحروف للجزم، كما تحذف له الحركات في نحو: لم يَقُمْ، ولم يقعدْ." [٣] ويذكر الصَّيْمَريّ معلِّلًا: "فأما جزم الفعل فَبِحَذْفِ الواو، والياء، والألف، نحو: لم يَدْعُ، ولم يَرْمِ، ولم يَنْهَ، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأن الجزم يجب أن تَحْذِفَ له علامةَ الرفع، وكان هذا الفعل في الرفع ساكنًا، فلما دخل الجزم صادف حرفًا ساكنًا فحذفه، ليقع الفرق بين المرفوع والمجزوم."[٤]

وعند التحليل المقطعيّ يتضح الآتي:

لم يَدْعُ			
الأصل	الكتابة الصوتية	الوحدة اللغوية	الكتابة الصوتية
يَدْ / عو ص ح ص / ص ح ح	Yad<ū	يَدْ / عُ ص ح ص / ص ح	Yad<u

وبناءً على هذا التحليل، فإنَّ الفعل المضارع مجزوم بتقصير الضمة الطويلة لا بحذفها، وفي هذا الصدد يذكر الدكتور رمضان عبدالتواب ردًّا على ما أورده القدماء في ذلك قائلًا: "إنهم يقولون في المضارع المعتل الآخر، عند جزمه في مثل: «لم يَدْعُ» و«لم يَخْشَ» و«لم يَرْمِ» إنه مجزوم بحذف حرف العلة، فهم هنا ينظرون إلى الخطّ لا إلى النطق، ولو نظروا إلى النطق لقالوا إنه مجزوم بتقصير

---

[١] في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، صـ ٢٤١

[٢] المرجع السابق، صـ ٢٩١

[٣] سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م،الجزء الأول، صـ ٢٦

[٤] التبصرة والتذكرة للصيمري، الجزء الأول، صـ ٩١

الحركة؛ فبدلًا من: (ū) في المثال الأول: (يدعو)، يوجد في حالة الجزم: (u) وبدلًا من: (ā) في المثال الثاني: (يخشى)، يوجد في حالة الجزم: (a)، وبدلًا من: (Ī) في المثال الثالث: (يرمي) يوجد في حالة الجزم: (i) في نهاية الفعل." [١]

وفي السياق نفسه صرح الدكتور عبدالصبور شاهين قائلًا: "ولعل من نتائج تطبيق مفهوم قصر الحركة وطولها المذكور آنفًا، نظرتنا إلى الفعل المعتل الآخر، وهو المنتهي بحركة طويلة، في مثل:(يسعى ـ يدعو ـ يرمي)، فهو في رأي النحاة يرفع بحركة مقدرة، وينصب بتقديرها على الألف مع ظهورها في الواو والياء، ولكنه في حالة الجزم يجزم بحذف الألف (والفتحة قبلها دليل عليها)، أو الواو (والضمة قبلها دليل عليها) أو الياء (والكسرة قبلها دليل عليها)، ونرى نحن أن عين الفعل في الأمثلة الثلاثة السابقة لا تتحمل أية حركة قبل أصوات العلة في أواخرها، بل إن أصوات العلة هي حركات عين الفعل، وكل ما حدث في حالة الجزم هو اختصار الحركة الطويلة إلى قصيرة." [٢]

8ـ الاسم المقصور المنوَّن، نحو: هُدًى، وفتًى، فالاسم المقصور في "حالة التنكير ينون آخره، فيقال: فتًى، ومصطفًى، بإسقاط الألف نطقًا، أو هو في الحقيقة اختصار للفتحة الطويلة مع إقفال المقطع بنون ساكنة، هي التنوين Fatan ـــــــــ Fataa "[٣] ويمكن توضيح ذلك عن طريق التحليل المقطعيّ، على النحو الآتي:

هُدًى			
الأصل	الكتابة الصوتية	الوحدة اللغوية	الكتابة الصوتية
هُـ / دانْ ص ح / ص ح ح ص	hudān	هُـ / دَنْ ص ح / ص ح ص	Hudan

ويفسر اللغويون المحدثون تقصير الحركة الطويلة في الاسم المقصور حال التنوين بأنه فرار من ثقل المقطع الطويل المغلق «ص ح ح ص» وذلك نحو: هدًى وعصًا وجوًى، فهذه الأصل فيها هو: هدانْ، عصانْ، وجوانْ بالتنوين، ولكن التنوين مع الفتحة الطويلة قبله ينشأ عنه مقطع طويل في هذه الكلمات هو: دانْ، صانْ، ووانْ، على الترتيب، وهو مقطع مرفوض عربيًّا في مثل هذه الحالة، أي في الوصل، فما كان من العربية إلا أن اختزلت الحركة الطويلة فحولت المقطع بذلك إلى مقطع متوسط مغلق «ص ح ص». [٤]

---

[١] فصول في فقه العربية، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٩م، صـ ٤٠٨

[٢] المنهج الصوتي للبنية العربية، صـ ١٨

[٣] المرجع السابق، صـ ١٢٥

[٤] أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، صـ ١٢٨

9ـ جمع الاسم المقصور جمع مذكر سالم، يقول سيبويه: "اعلم أنَّك تحذف الألف وتدع الفتحة التي كانت قبل الألف على حالها، وإنما حذفتَ لأنه لا يلتقي ساكنان، ولم يحرّكوا كراهيةَ الياءين مع الكسرة والياء مع الضمة والواو حيث كانت معتلّة"[١] ويؤيده في ذلك قدماء اللغويين، وفريق من المحدثين، وعلى خلاف ذلك علم اللغة الحديث، حيث القول بتقصير الحركة دون حذفها، يقول أستاذنا الدكتور حازم علي كمال الدين تعقيبًا على قول اللغويين القدماء بحذف الفتحة الطويلة: "وهم في حكمهم هذا اعتمدوا على الجانب الخطيّ، ولم يهتموا بالجانب النطقيّ، ولو أنهم اهتموا بهذا الجانب الأخير؛ لأدركوا أن تلك الفتحة القصيرة، ما هي إلا اختصار كَمِّيّ للألف ـ الفتحة الطويلة ـ "[٢] ويمكن توضيح ذلك عن طريق التحليل المقطعيّ على النحو الآتي:

مصطَفى ← مصطَفاون ← مصطَفَونَ

المفرد	مُصطَفى	ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح
جمعه (الأصل)	مُصطَـفاونَ	ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص/ ص ح
جمعه (بعد التقصير)	مُصطَفَـوْنَ	ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح

ومما سبق، يتبين لنا أنَّ سبب هذا التقصير هو تجنب المقطع الطويل (ص ح ح ص)، وبِناءً على ذلك نستطيع أن نقول: "إن القدماء في تحليلهم للحركات كانوا يفكرون في إطار خطيّ، الشيء الذي أدى بهم إلى التوصل إلى نتائج أقرب إلى الخطّ منها إلى المنجز الصوتيّ، ولكن هذا لا يقلل من جهودهم في علم الأصوات عمومًا، وعلى مستوى الحركات خاصة، فالكثير مما توصلوا إليه في هذا المضمار يتبناه علم اللغة الحديث." [٣]

وتعقيبًا على ما تم عرضه من آراء القدماء في موضوع تقصير الحركات، يقول الدكتور رمضان عبدالتواب: " فما حكاية التقاء الساكنين هذه؟ ذكروا أنه لا يجوز في العربية، التقاء الساكنين إلا في حالتين؛ الأولى: حالة الوقف، كما لو وقفنا على مثل: (بابْ) و(كتاب) وغيرهما. والثانية: في وسط الكلمة، بشرط أن يكون الأول

---

(١) كتاب سيبويه، الجزء الثالث، صـ ٣٩٠

(٢) دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث، صـ ٥٧

(٣) حركات العربية دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، عبدالحميد زاهيد، المطبعة والوراقة الوطنية، زنقة أبوعبيدة، مراكش، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م ، صـ ١٧٦

من الساكنين، حرف مد، والثاني مدغمًا في مثله؛ نحو: (دابّة) و(شابّة) و(الضالّين) ونحو ذلك، والحقيقة أنه لا وجود لما يسمّى بالتقاء الساكنين هنا، وقد وقع النحويون العرب في هذا الوهم، بسبب الخطّ العربيّ، فظنوا الألف حرفًا ساكنًا، وهو في الواقع رمز للفتحة الطويلة، وإنما نحن في هذه الأمثلة أمام ما يسمّى بالمقطع الرابع من المقاطع الصوتية." [١]

ويوافق الدكتور كمال بشر الدكتور رمضان عبدالتواب فيما ذكره تعقيبًا على آراء القدماء، قائلًا: "لم يوفقوا من الناحية الواقعية في النظر إلى الواو أو الياء عندما يصيبهما شيء من التغير في تصاريف الكلمات، إنهم مثلًا يقررون أن «لم يقُل» أصلها «لم يقول» فحذفت الواو لالتقاء الساكنين، وهذا وهم منهم إذا المحذوف هو الرمز «و»، أما الواو نطقًا (وهي الضمة الطويلة) فقد قُصرت، وصارت حركة قصيرة، هي الضمة، وذلك لأن التركيب المنطقيّ في اللغة العربية لا يسمح بطول الحركة في هذا السياق، فمن المعلوم أن المقطع: «ص ح ح ص» لا يقع في العربية إلا في حالتين اثنتين: عند الوقف، كما في «قالْ» بتسكين اللام، وعندما يكون الصامت الأخير مدغمًا في مثله، كما في «ضالّين» «ص ح ح ص»، وقد جاء تسويغهم لحذف الواو في المثال السابق، والياء في «لم يَبِعْ» على أساس أنهما حرفا علة يصيبهما الحذف والتغيير والاعتلال إلخ. وهذه النظرة ــ وإن كانت تصلح مسوغًا لهذه التسمية ــ لا تصلح أساسًا للقول بأن الواو والياء قد حذفتا، وكان الأولى بل الصحيح أن يشار إلى أنهما قد أصابهما التقصير"[٢].

وتعليقًا على ما ذكروه من حذف الألف والواو والياء، في نحو: يشاء، ويقول، ويبيع، عندما يسبقها جازم لالتقاء الساكنين، يقول الدكتور كمال بشر ــ أيضًا ــ: "وذلك تفسير غير دقيق من وجهين. الأول: أن الألف والياء والواو في هذه الأمثلة حركات طويلة (حروف مدّ) لم تحذف، وإنما قصرت لسبب يرجع إلى طبيعة التركيب المقطعيّ للغة Syllabic structure ، إذ المقطع CVVC (صوت صامت + حركة طويلة + صوت صامت) حال بقائها طويلة مقطع مقيّد وقوعه في العربية، ومقصور على سياقات معيّنة، ليس منها هذا السياق الذي معنا، ولعل الذي أوقعهم في هذا الوهم وهو القول بحذف هذه الحروف في هذه الأمثلة ونحوها هو حذفها في الكتابة، والكتابة ــ كما هو مقرر معروف ــ لا يمكن بحال الاعتماد عليها في التحليل اللغويّ.... الثاني: قولهم حذفت الألف والياء والواو لالتقاء الساكنين قول فيه تجاوز كبير، بل هو ضرب من الخطأ في نظر البحث العلميّ الصحيح. هذه الحروف (كما قررنا وكما يفهم من جملة كلامهم) حركات، فكيف تكون حركات

---

(١) فصول في فقه العربية، د. رمضان عبدالتواب، صـ ١٩٣ ـ ١٩٤

(٢) دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، صـ ٩٩

وهي ساكنة والسكون عدم الحركة؟ نقول لعلهم أيضًا وقعوا في هذا الوهم لخلوّ هذه الحروف من علامات الحركات (القصار في الكتابة)." [١]

ويضيف الدكتور عبدالحميد زاهيد مؤكدًا على ما ذكره العالمان الجليلان، قائلًا: "ومن نتائج تأثرهم بالخطّ أيضًا قولهم في جزم المضارع المعتل الآخر إنه مجزوم بحذف حرف العلة (لم يدع ـ لم يخش ـ لم يرم) فحذف الواو من (يدعو) والألف من (يخشى) والياء من (يرمي)، جعلهم يعتقدون أن هذه الأفعال مجزومة بحذف هذه الحروف، في حين أن ما يجري على المستوى الصوتيّ ليس حذفًا بل اختزالًا، فالمقاطع (عو ـ شي ـ مي) المكونة من صامت وحركة طويلة Cvv تختزل في حالة الجزم من حركة طويلة إلى حركة قصيرة، فيتحول المقطع من Cvv إلى Cv." [٢]

وفي سياق متصل يقول الدكتور محمود فهمي حجازي: "يطلق مصطلح التغيرات الصرفية الصوتية Morphophonemic Changes على التغيرات التي تطرأ على البنية الصرفية لاعتبارات صوتية، وذلك مثل فكرة تحويل المقطع المغرق في الطول من (صامت + حركة طويلة + صامت)، إلى (مقطع طويل مغلق)، إن المقطع المغرق في الطول من النوع الرابع نادر في العربية الفصحى، وتميل اللغة العربية إلى هجره كلما أوتيت إلى ذلك سبيلًا، ومن هذا الجانب نجد العربية الفصحى تختلف عن بعض اللهجات العربية التي تعرف المقطع المغرق في الطول على نحو أكثر شيوعًا، فعندما كان القاهريّ يقول آمرًا: «بيع» فالفصحى «بِـعْ»، وكذلك: «عيش» في مقابل الصيغة الفصيحة «عِـشْ»، فالفرق بالمقارنة مع الصيغة العامية أن الفصيحة حوّلت المقطع المغرق في الطول إلى مقطع طويل، وبذلك تحوّلت الحركة الطويلة إلى حركة قصيرة." [٣]

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث:

ـ تباين آراء علمائنا القدماء والمحدَثين حول ظاهرة تقصير الحركات الطوال كان نتيجة اختلاف المنهج المتبع لكلٍّ منهما، حيث أرسى القدماء قواعد منهج معتمد على جانب كبير من المعيارية بينما يتخذ المحدثون من الوصفية منهجًا لا يميلون عنه.

ـ ظاهرة تقصير الحركات ظاهرة لغوية تتبع قانونًا لغويًّا عامًّا في العربية، فلا تقتصر على حالة معينة أو موضع محدد.

---

[١] علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، صـ ٤٣٢ ـ ٤٣٣

[٢] حركات العربية دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي، عبدالحميد زاهيد، صـ ١٧٦

[٣] مدخل إلى علم اللغة، د. محمود فهمي حجازي، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٧م، صـ ٨٢

ـ التأثر بالجانب الخطيّ هو ما أدى ـ في الحقيقة ـ إلى غياب العلاقة الصوتية بين الحركات الطوال وأبعاضها القصار.
ـ تناول القدماء للحركات من ناحية خطية أدى بهم إلى التوصل إلى نتائج أقرب إلى الجانب الخطِّيِّ منها إلى الدرس الصوتيّ.
ـ يعدُّ التخلص من الثقل الناشئ عن المقطع الطويل المغلق «ص ح ح ص» من أهم الأسباب التي تؤدي إلى تقصير الحركات الطوال في اللغة العربية.
ـ تنفرد اللغة العربية من بين شقيقاتها الساميات بظاهرة تقصير الحركات والاختصار الكَمِّيّ.
ـ عدم معرفة علمائنا القدماء بالتحليل المقطعيّ كان من أهم الأسباب التي أدت إلى قولهم بحذف الحركات الطوال دون القول بتقصيرها.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية «حَفْص عن عاصم».

١. أبحاث في اللغة العربية، د. داود عبده، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٣م.
٢. أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، د. فوزي الشايب، عالم الكتب الحديثة، إربد ـ الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٣. أصوات اللغة، د. عبدالرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٨م.
٤. إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه، تحقيق أحمد السيد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٥. التبصرة والتذكرة للصَّيْمَريّ، تحقيق: د. فتحي أحمد مصطفى، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودي، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.
٦. التصريف الملوكي، ابن جني، تصحيح محمد سعيد الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية، القربية بمصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
٧. التطور اللغوي، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٧م.
٨. التطور النحوي للغة العربية، برجشتراسر، تصحيح وتعليق: د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٩. تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون ـ محمد علي النجار، الدر المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.
١٠. الحركات في اللغة العربية دراسة في التشكيل الصوتي. زيد خليل فلاح القرالة، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، ١٩٩٤م.
١١. حركات العربية دراسة صوتية في التراث الصوتي العربي. عبدالحميد زاهيد، الطبعة الأولى، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ٢٠٠٥م.
١٢. "الحركات" نقطة الضعف في الدراسات الصوتية عند العرب، د. فوزي حسن الشايب، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلس النشر العلمي ـ جامعة الكويت، العدد ٢٠/٨٠، سنة ٢٠٠٢م.
١٣. الحركة الطويلة في سورة طه دراسة وصفية تحليلية. د. حازم علي كمال الدين، الطبعة الثانية، مكتبة الآداب، القاهرة ٢٠٠٥م.

١٤. الحركة الطويلة في اللغات السامية، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٨ه ـ ٢٠٠٧م.
١٥. دراسات في علم اللغة، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٦. دراسة في علم الأصوات, د. حازم علي كمال الدين, مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٧. دراسة في قواعد النحو العربي في ضوء علم اللغة الحديث، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٧م .
١٨. ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تحقيق د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأول، ١٩٩٨م.
١٩. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح ابن جني، تحقيق د. حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.
٢٠. شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، تحقيق وائل أحمد عبدالرحمن، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ٢٠١٠م.
٢١. شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تحقيق: أحمد حسن ـ وعلي سيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،٢٠٠٨م.
٢٢. شرح المفصل لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
٢٣. ظاهرة المقطع الصوتي في اللغة العربية، د. حازم علي كمال الدين، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٤م.
٢٤. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٢٥. فصول في فقه العربية، د. رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٩٩م.
٢٦. في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق ١٩٨٤م.
٢٧. قواعد الإملاء، عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م.
٢٨. كتاب سيبويه، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
٢٩. لسان العرب لابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
٣٠. اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م .
٣١. محيط المحيط، بطرس البستاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ٢٠٠٩م.
٣٢. مدخل إلى علم اللغة, د. محمود فهمي حجازي, دار قباء، القاهرة، ١٩٩٧م.
٣٣. مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٩م.
٣٤. منهج السالك إلى ألفية ابن مالك، للأشموني، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
٣٥. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي، د. عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.